

عوارض الموالاة تصيب بعض المعارضة

بقلم جورج حداد

(التيار الوطني الحر)

Ivan Pavlov عالمٌ نفس روسي ذاعت شهرته في بداية القرن الماضي. من أهم تجاربه العلمية ما أجراه على كلب، كان يقدم له الطعام بالتزامن مع قرعه لجرس وضعه فوقه. وقد استمر على ذلك أياماً عدة. ثم بعد انقضائها أخذ يدق الجرس من دون أن يطعم الكلب، الذي صار يُظهر عوارض الاستعداد للأكل في كل مرة يسمع فيها رنين الجرس، فيمتلئ فمه بالرقيق وتأخذ عضلات معدته بالانقباض. خلاصة تجربة Pavlov أن بعض ردادات الفعل الغريزية يمكن افتعالها واستحضارها بطرق ووسائل خارجية واصطناعية. قطعاً لم يخطر ببال العالم النفسي أن بعض السياسة في لبنان ما هو إلا سلوك غرائزي مستحضر ومقرر ومبرمج سلفاً، وهو بذلك يوفر دليلاً قوياً وحديثاً على صحة نظريته العلمية. هكذا هي كل التشكيلات الحزبية والسياسية الموالية لسوريا وخياراتها. إنهم كتاب مفتوح لا يفاجئك بشيء على الإطلاق. ردادات فعلهم معروفة سلفاً، يكفيك أن تقرأ بيانات المعارضة قبل الظهر لتعرف مضمون مواقفهم بعده، مجرد اتصال هاتفي من عنبر أو البوريفاج كفيلاً بإطلاق ألسنتهم الخشبية ولتظهر عليهم عوارض التحريض والشم والتلفيق والتخوين.

تلقائيتهم باتت موضع سخرية المجتمع اللبناني بأسره. ما إن نلفظ كلمة احتلال حتى نسمع معزوفة: سلم أهلي، أمن قومي، تلازم مسارات، وحدة مصير، ضرورات استراتيجية، معطيات إقليمية... وما إن نرفض قمع الحريات وتسبيس القضاء وانتقائيته حتى نسمع منهم المطولات في تأليه القضاء وعن سمعة لبنان الدولية وثقة المستثمرين الأجانب، هذا لا تأتيه ملكة الأدب إلا في المقهى الباريسي وذلك إلا في التاكسي الذي لا يقبض الليرة السورية وآخر لحظة لقائه بالمصدر الدبلوماسي المجهول العارف بالحاضر والغيب. وإن دعونا للنظائر رفضاً لواقع الهيمنة والارتهان وضرب الحرية الإعلامية سارعوا للإعلان عن تظاهرهم في الزمان والمكان عينهما...؟! أما وزارة الداخلية فهي على أهبة رفض الترخيص لكلا التظاهرتين. بالطبع حرصاً منها على الاستقرار وباريس ٢ ومنعاً للاستغلال وعدم ملاءمة التوقيت... صدق أو لا تصدق! إلا أن الأغرب والأدهى فهو أن تصاب بعض المعارضة بالبالفوفية عينها، فيتعطل أداؤها أمام التهويل والابتزاز وإرهاب السلطة، والأشد خطورةً أن تصبح المعارضة رهينة التلقائية المحكومة بالخوف والملفات وحسابات النفوذ. لذلك فلا مناص من التنكير ولو بعد حين، بما سبق وأعلنه العماد ميشال عون، من أن لا مكان في صف المعارضة لثلاثة هم: الخائف ومن عنده ملف ومن كان يسعى لسلطة أو كرسي. هذا هو المضمون السياسي الذي أراده التيار الوطني الحر من يوم الخميس ٣١ تشرين الأول ٢٠٠١ عندما تجرأ مئات من طلابه على كسر حلقة التراجع والانهازم مستحضرين شعار **Interdit** (D'interdire ممنوع المنع) بمعنى ممنوع مرور التعدي على الحرية وعلى الحقوق الطبيعية والدستورية للبنانيين. أما ونحن نمرر الوقت الضائع بانتظار وصول الرسالة ليد المرسل إليه، فلا بأس بنا نجرّب طريقة Pavlov باستخدام المفردات التالية: هاتف، وزارة، تظاهرة، خوف، ملف، رخصة، تراجع.

٢٠٠٢/١١/٦